اعرف ربك

المؤمن

بقلم
هشام مشالي
عفا الله عنه

المؤمن

بقلم

هشام مشالي

عفا الله عنه

المـــــــؤمن

المؤمن جل ثناؤه وتقدست أسماؤه

سبحان من سبقت محبته لأحبابه، فمدحهم على ما وهب لهم، واشتق من أسمائه اسمًا لهم..فهو المؤمن جل ثناؤه وتقدست أسمائه، والمؤمن من عباده من اصطفاه وجعله من أوليائه..فيا لها من منزلة مصونة لا يقدر عليها كل طالب! ولا يبلغ كنه وصفها كل خاطب..

فيا عجباً.. الرب الجليل يحب العبد الذليل..

ولا عجب.. إن ذاب العبد الذليل محبةً وشوقًا إلى الرب الجليل..

ولكن أعجب العجب: دعوى المحبة مع البعد عن معرفة بالله.. إنها والله دعوى بلا برهان.. وغرور دنيا.. ووساوس شيطان.

أخي..أخبرنى بالله عليك..إذا سألك سائل: ما معنى

أن الله هو المؤمن؟

فكيف يكون جوابك؟! بل كيف يكون جوابك إذا سُئلت فى قبرك: من ربك؟!

فوا خيبة من جهله.. وا فقر من أعرض عنه.. وا حسرة من اشتغل بغيره.

فألق سمعك.. وأحضر قلبك.. وأجلِ بصرك.. بتلك السطور والكلمات.. عسى أن تحيا بها.. فإنما الأعمال بالنيات.

المؤمن هو..

قد نفهم أن العبد إذا آمن بربه يقال له مؤمن..

ولكن ما معنى أن الله هو المؤمن؟!

إذا فهمنا معنى الإيمان أدركنا سر المسألة..

فالإيمان في اللغة: التصديق ولكنه تصديق مخصوص، فإن كل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له - فى اللغة - صدقت كما يقال كذبت، وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل إلا فى الخبر عن غائب.. فإن الإيمان مشتق من الأمن ولذلك يستعمل فى خبر يُؤتمن عليه، كالأمر الغائب الذى يُؤتمن عليه المخبِر.

فلفظ الإيمان – كما قال شيخ الإسلام - متضمن مع التصديق معنى الأمن والائتمان والأمانة - كما يدل عليه الاستعمال والاشتقاق، ولهذا قال إخوة يوسف

لأبيهم: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾(يوسف:١٧)

أي لا تقر بخبرنا، ولا تثق لا تطمئن إليه ولو كنا صادقين؛ لأنهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك، فلو صدقوا لم يأمن لهم.

وبهذا يتضح معنى اسم المؤمن فى حق الله تعالى، وأنه يدور حول معنيين: التصديق والأمن، فالله هو المؤمن أي:

المصدق لنفسه الذي وحد نفسه، وأثنى عليها بصفات الكمال، وبكمال الجلال والجمال.

المصدق للمؤمنين في أنهم آمنوا، ولرسله في أنهم بلغوا، وشهد على صدقهم، وصدق ما جاءوا به بقوله وكلماته، وبفعله وآياته في الآفاق وفي الأنفس.

المصدق ظنون عباده المؤمنين به، فلا يخيب آمالهم، ولا يرد صالح أعمالهم.

المصدق عباده ما وعدهم به، الذي يفي بما ضمنه لهم من رزق ونصر فى الدنيا، وثواب على أعمالهم الصالحة فى الآخرة.

واهب الأمن لأوليائه بما وهبه لهم من النعم والعافية، وبما وعدهم به من الأمن في الدنيا ويوم الفزع الأكبر.

ولعل الأمر يحتاج إلى مزيد بيان، فليس المراد حفظ الحروف والمباني، بل المراد النظر والتفكر فى الآيات والمعاني، فاللّٰهُمَّ حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا.

شهد الله أنه لا إله إلا هو

روى ابن جرير بإسناد حسن عن قتادة:قال:المؤمن آمن بقوله أنه حق.

فالمؤمن ﷺ هو المصدق لنفسه الذي شهد لنفسه بالوحدانية:

بقوله وكلماته فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ (آل عمران: ١٨).

وكذلك بفعله بأن أقام الحجج والبراهين القاطعة على توحيده، ولذلك استنكرت الرسل على أقوامهم التشكيك فى دعوتهم، قال تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(إبراهيم:١٠).

قال الإمام ابن كثير: أي أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك؟! وهو الخالق لجميع الموجودات،ولا

يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له.

والله.. إن النفس لتتيه فخراً وعزاً بشهادة تلك حالها..

تأمل أخي المؤمن.. إن ما يميزك عن سائر الناس أنك أعلنت الإسلام لله وجهرت بتوحيده و الدعوة إليه، والناس يخاصمونك في صحة ما تدعي، وجرت عادة الناس عند الاختصام أن يأتي كل واحدٍ بشهود يشهدون له ويقرون صحة دعواه.

وكلما كان الشاهد أعلى وأعلم..كان المشهود عليه أجل وأعظم.. والمشهود له أعز وأكرم.

فما أكرم المؤمن على الله حتى يشهد له بنفسه المقدسة على أجل وأشرف موضوع وهو التوحيد.

كفى بك عزًا أنك له عبد=وكفى بك فخرًا أنه لك رب

سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم

من معانى اسمه تعالى المؤمن أنه: المصدق الذى يصدق الصادقين بما يقيم لهم من شواهد صدقهم، فهو الذى صدق رسله وأنبيائه فيما بلغوا عنه، وشهد لهم بأنهم صادقون، وأقام الآيات الدالة على صدقهم وصدق ما جاءوا به.

وتلك الشهادة على ضربين:إما بقوله وكلماته وهى آياته المتلوة، أو بفعله وخلقه وهى آياته المشاهدة فى الآفاق وفى الأنفس، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ (فصلت:٥٣) أى أن القرآن حق..

فأخبر تعالى أنه لابد من أن يريهم من آياته المشهودة ما يبين أن آياته المتلوة حق.

ثم أخبر بكفاية شهادته على صحة خبره بما أقام من الدلائل والبراهين على صدق رسوله فقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(فصلت:٥٣).

فآياته شاهدة بصدقه..وهو شاهد بصدق رسوله بآياته..فهو الشاهد والمشهود له.. وهو الدليل والمدلول عليه.. فهو الدليل بنفسه على نفسه كما قال بعض الصالحين: كيف أطلب الدليل على ما هو دليل لى على كل شيء، فأي دليل طلبته عليه فوجوده أظهر منه.

ومن ذلك يتبين لنا أن النظر فى مفعولات الله والاستدلال بأفعاله من أدل شيء على صفاته، وصدق ما أخبرت به رسله عنه.

ولو لم يكن في ذلك إلا أنه ما قام أحد بتوحيده إلا ونصره على المشرك الجاحد فهذا من الآيات الكبرى

المشاهدة من قديم الزمان وحديثه، وقد أكثر الله منها فى كتابه وصرّفها ونوّعها ليحيي من حيي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

ولهذا إذا ذكر الله تعالى قصص الرسل مع أممهم وأخبر عن عقوبات العاصين ونجاة الرسل ومن تبعهم قال عقب كل قصة ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً﴾ أى لعبرة يعتبر بها المعتبرون فيعلمون أن توحيد الله هو الموجب للنجاة وتركه هو الموجب للهلاك.

أنا عند ظن عبدي بي

ذكر الخطابي - وحكاه عنه القرطبي- أن من معاني اسمه – تعالى- المؤمن: أنه يصدق ظنون عباده المؤمنين، ولا يخيب آمالهم.

ويشهد لهذا المعنى ما أخرجه الشيخان من قوله ﷺ فيما يرويه عن رب العزة: «أنا عند ظن عبدي بي».

قال الحافظ فى الفتح: أي قادر على أن أعمل ما ظن أني عامل به.

فمن ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن المجازاة عند فعل العبادة بشروطها تمسكًا بصادق وعده - عزّ وجلَّ - صدّق الله ظنه.

ومن ظن أن الله لا يقبل عبادته، وأنها لا تنفعه

فهذا هو اليأس من رحمة الله، وهو من الكبائر، ومن مات على ذلك وُكل إلى ظنه.

وأما ظن المغفرة مع الإصرار على المعصية فذلك عين الجهل بالله، وهو معنى الأمن من مكر الله، المذكور في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(الأعراف:٩٩)